الثقافة والتنمية

دورية - علمية - محكمة تعالج قضايا الثقافة والتنمية البشرية

السنة الثالثة عشرة | العدد السابع والستون (٦٧) | أبريل ٢٠١٣م

الاستخدام اللغويّ لكلمة (مَثَل) في القرآن الكريم

(دراسة تركيبيّة دلاليّة)

دكتور

محمد محمود المقبل

أستاذ اللغة والنحو المساعد

جامعة الملك فيصل

دكتور

سميح أحمد مقدادي

أستاذ اللغة والنحو المساعد

جامعة الملك خيبر

مجلة الثقافة والتنمية | العدد السابع والستون (٦٧) | أبريل ٢٠١٣م

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

الثقافة والتنمية

دورية علمية محكمة تعالج قضايا الثقافة والتنمية البشرية

السنة الثالثة عشرة | العدد السابع والستون (٦٧) | أبريل ٢٠١٣م

افتتاحية العدد : **الأستاذ الدكتور/ مصطفى**

الاستخدام اللغويّ لكلمة (مَثَل) في القرآن الكريم (دراسة تركيبيّة دلاليّة)

دكتور
محمد محمود المقبل
أستاذ اللغة والنحو المساعد

دكتور
سميح أحمد مقدادي
أستاذ اللغة والنحو المساعد

تصور مقترح لتطوير نظام تكوين معلم التعليم الأساسي بالوطن العربي في ضوء المعايير والمتطلبات المهنية

دكتور / **سعد بن محمد الماضي**
وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية

فعالية برنامج قائم على استراتيجيات التعلم النشط فى تنمية استعداد طفل الروضة للقراءة والكتابة

دكتورة / **أمانى خميس محمد**
مدرس كلية التربية جامعة حلوان

مُلخّص " الإعـلال بين الأصـل و التطبيـق "

دكتور/ **مقبل عايد السالم**
جامعة الجوف – كلية العلوم الإدارية و الإنسانية

موقع المجلة على شبكة المعلومات الدولية www.mcd1999.com

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

عضو أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة

الاستخدام اللغويّ لكلمة (مَثَل) في القرآن الكريم
(دراسة تركيبيّة دلاليّة)

دكتور
محمّد محمود المقبل
أستاذ اللغة والنحو المساعد
جامعة الملك فيصل

دكتور
سميح أحمد مقدادي
أستاذ اللغة والنحو المساعد
جامعة الملك فيصل

مجلة الثقافة والتنمية العدد السابع والستون (٦٧) ابريل ٢٠١٣ م

ملخص البحث بالعربية

يتناول هذا البحث كلمة (مَثَل) من حيث الاستخدام اللغويّ، في مواضع محدّدة في القرآن الكريم، محاولا الكشف عن الدلالات التي وردت في النصوص المختلفة. إضافة إلى الدور الذي لعبته هذه الكلمة في التركيب، إذ إنّها تعدّ ركنا أساسيّا في الربط بين موقفين بأنماط تركيبيّة متنوّعة، لكلّ صورة منها خصوصيّتها التي يحاول البحث الوقوف عليها.

ملخص البحث بالإنجليزيّة

This research studies the word (mathal) in terms of places in the Holy Qur'an by language use in specific various attempting to detect its indications as used in texts, and to reveal the role played by this word in the the text, as it is a basic element in the structure of have different connection between two positions which patterns of structure.

المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أنبيائه أجمعين، وبعد:

يدرس هذا البحث الاستخدام اللغوي لكلمة (مَثَل) في القرآن الكريم من حيث: المعاني المعجميّة والدلاليّة والتركيب النحويّ، والأنماط التي جاء عليها، منبّها إلى الدلالات المستوحاة من هذا التركيب.

يعدّ هذا البحث حلقة من حلقات البحث العلميّ التي تسعى إلى خدمة النصّ القرآني، في محاولة منه لكشف بعض أسرار التعبير القرآني وفهمها، عبر دراسة كلمة (مثَل) في كتب التفسير، والنحو، والبلاغة، والإعجاز. وجاءت فكرة هذا البحث عندما وقع على موضوعات مشابهة في الاستخدام اللغويّ لبعض المفردات في القرآن الكريم، ولورود كلمة (مثل) في القرآن الكريم على وجه لافت للنظر في استخدامها اللغويّ، إذ وردت في أنماط تركيبيّة لكلّ منها خصوصيّته التي يحاول البحث الوقوف عليها، وإبرازها، كما أنّ هذه الكلمة (مثَل) تعدّ ركنا أساسيّا في الربط بين موقفين قرآنيين، يحاول البحث بيانهما. وقد وردت الأمثال القرآنيّة في كتب نحويّة كثيرة، وفي تفاسير كثيرة، وتحدّث النحويّون والمفسّرون عنها بشكل عام. إلا أنّ البحث لم يجد دراسة واحدة عنيت بدراسة كلمة (مَثَل) في القرآن الكريم على وجه خاصّ.

الأهداف:

-إحصاء الآيات القرآنيّة التي وردت فيها كلمة (مثَل).

-تحديد المعاني المعجميّة والدلاليّة التي جاءت عليها كلمة (مثَل) في الآيات المحصاة.

-إبراز الأنماط التركيبيّة المختلفة التي وردت فيها كلمة (مثَـل) فـي الآيات المحصاة، وتحديد الآيات التي تندرج تحت كلّ نمط.

-الوقوف على الوظيفة الدلاليّة التي تميّز بها كلّ نمط من آخر.

الدراسات السابقة:

أمّا الكتب التي درست الأمثال في القرآن الكريم وفي غيره فهي كثيرة.وقد تناولت هذه الكتب المعنى اللغويّ والمعنى الاصـطلاحيّ، والتمثيل بالآيات على المواطن التي وردت فيها الأمثال، ودرسـتها دراسة عامّة، غير تركيبيّة أو غير تركيبيّة دلاليّة، أي: أنّها لم تبحث في مسألة: هل كان للتركيب الذي وردت فيه دلالة خاصّة؟ ومن هذه الكتب:" أمثال القرآن" للشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قـيم الجوزيّة ، و" الأَمثال القرآنية" لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، و "أمثال القرآن" للدكتور محمود بن الشريف، و " الأَمثال في القـرآن الكريم" للدكتور محمد جابر الفياض، و "الصورة الفنية فـي المثـل القرآني" للدكتور محمد حسين علي الصغير، الأمثال فـي القـرآن" جعفر السبحانيّ.

ويتضمن البحث ما يأتي:

أولا: المقدمة.

ثانيا: التمهيد، وعرض فيه الفرق بـين المَثَـل والمِثْـل، والأقوال في ذلك.

ثالثا: الفصل الأول (معنى كلمة مَثَل معجميّا ودلاليّا)، وعـرض فيـه معاني كلمة مَثَل في المعاجم اللغويّة، وكتب تفسير القـرآن، وكتـب الأمثال.

رابعا: الفصل الثاني (الأنماط التركيبية التي وردت فيها كلمة (مثل) في القرآن الكريم ودلالاتها). وعرض فيه للأشكال التي جاءت عليها كلمة

مَثَّل، بحسب ورودها مع كاف التشبيه، أو بدونها، ثمّ عرض للتراكيب النحويّة التي اشتملت على كلمة مَثَّل، بذكر النمط، ثمّ ذكر الآية أو الآيات التي تمثّل هذا النمط، ثمّ تحليل بعض الأنماط التركيبيّة، لتكون تمثيلا للنمط، ما استطاع البحث إلى ذلك سبيلا.

خامسا: الخاتمة والنتائج. وعرض فيها أهمّ ما وصل إليه البحث.

تمهيد:

ضرب الله الأمثال في القرآن الكريم لما لها من أهمية في بيان المعاني المراد بيانها، فكان لضربها "شأن لا يخفى، ونور لا يطفأ يرفع الأستار عن وجوه الحقائق ويميط اللثام عن محيّا الدقائق، ويبرز المتخيل في معرض اليقين، ويجعل الغائب كأنّه شاهد"(١).

وتحدّث كثير من العلماء عن المِثْل والمَثَل والأمثال، ومعانيها، وبعد اطلاع البحث على ما قالوه وجد أنّهم أعادوا هذه المعاني إلى معنى أصلي واحد هو المشابهة، فذهب الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ) إلى أنّ المَثَل بمعنى المِثْل، وهو النظير (٢).

ويقول الراغب الأصفهانيّ:" المثل عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أيّ معنى كان، وهو أعمّ الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وذلك أنّ الندّ يقال فيما في الجوهر فقط، والشبه يقال فيما يشارك في الكيفيّة فقط، والمساوي فيما في الكميّة فقط، والشكل فيما يشارك في القدر والمساحة فقط"(٣).

ويرى الزركشيّ: أنّ المِثْل هو الذي يكون مساوياً للشيء في تمام الماهيّة، و المَثَل هو الذي يكون مساوياً له في بعض الصفات الخارجة عن الماهيّة"(٤)

وعدّهما ابن منظور كلمتي تسوية بمعنى واحد. (٥)

ويرى السمين الحلبيّ أنّ المَثَل في الأصل بمعنى مِثْل ومثيل ، نحو: شِبْه وشَبَه وشبيه. (٦)

---

(1) لألوسي، شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ ١/١٦٥

(2) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت. د.ت.مادّة: مثل.

(3) الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة: الأولى، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، – ١٤١٢ هـ ١ /٧٥٩

(4) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م ١ /٤٩٠.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مادّة: مثل.

وقد أنكر ابن العربيّ الترادف بين المِثل والمَثَل، ورأى أنّ لكلّ منهما معنى يغاير الآخر، المِثْل عنده شبه المحسوس، و المَثَل شبه المعاني المعقولة [٧].

وأيّده في التفريق بينهما الزركشيّ بقولهلو كان المَثل والمِثل سيّان للزم التنافي بين قوله: " ليس كمثله شيء" وبين قوله: " ولله المَثل الأعلى" فإنّ الأولى نافية له، والثانية مثبتة له"[٨].

وظهر لمحمد حسين الصغير أنّ ما ذهب إليه هؤلاء الأعلام من اختلاف معنى المِثْل والمَثَل هو عند تجريدهما عن القرينة، أمّا لو قيد كلّ منهما بقرينة ، فيتأكّد معنى كلّ منهما على حقيقته، وحينئذ تصبح دعوى القول بأنّهما مترادفان غير صحيحة. [٩]ولعلّ ما ظهر لهذا الباحث ليس بدقيق ؛ لأنّ المتتبّع لمعنى الكلمتين في المعاجم وكتب التفسير يلحظ أنّهم يتحدثون عن معناهما في سياقاتهما.

ويميل البحث إلى ما خلص إليه الفيّاض بعد عرضه للفرق بين المِثْل والمَثَل وأقوال العلماء في ذلك بقوله:" المثل ليس أداة تشبيه تعقد به المماثلة بين الأشياء المتشابهة، أيّا كانت هذه الأشياء محسوسة أو غير محسوسة، ولهذا لم يغن دخول المثل على المشبّه به عن دخول كاف التشبيه في بعض ما دخل فيه المثل على المشبّه"[١٠]. وهذا يؤكّده ما سيتناوله البحث في الدراسة عندما يتحدّث عن الجانب التركيبيّ ودلالته في الاستخدام القرآنيّ لكلمة مَثَل، أي أن البحث سوف يركّز في الدراسة على المواضع التي وردت فيها هذه الكلمة على هذا الضبط، وهذا الشكل الإفراديّ لها.

([6]) الحلبيّ، السمين، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق. د.ت ١٥٦/١.

([7]) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ٤٩٠/١.

([8]) نفسه ٤٩٠/١.

([9]) الصغير، محمد حسين، الصورة الفنيّة في المثل القرآنيّ، الطبعة: الأولى، دار الهدي – بيروت، ١٩٩٢م: ٤٥.

([10]) الفياض، محمّد جابر، الأمثال في القرآن الكريم، الطبعة: الثانية، الدار العلميّة للكتاب الإسلاميّ – الرياض، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.: ١٥٠ – ١٥١

الفصل الأول

معنى كلمة مَثَل معجميّا ودلاليّا

المَثَل لغة:

وردت كلمة (مَثَل) في الآيات موضع الدراسة في المعاجم المختلفة وكتب التفسير المختلفة على معاني متعدّدة: كالنظير والصفة والحال والخبر والقصّة العجيبة والعبرة والآية والحجّة والحديث نفسه والمثال والشاخص والمنتصب والشبه والصورة. وفي ما يأتي تفصيل لذلك:

الصفة: جاء في الصحاح وفي مختار الصحاح: ومثل الشيء صفته [١١] .

ويرى هذا الرأي كلّ من: يونس بن حبيب النحويّ ومحمد بن سلام الجمحيّ وأبي منصور الثعالبي [١٢] ، وابن منظور [١٣] والزبيديّ [١٤] في قوله تعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥))محمد، قوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ

([11]) الفارابي، أبو نصر، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الرابعة، دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

و الرازي، زين الدين أبو عبد الله، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة: الخامسة، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م مادّة: مثل.

([12])ابن منظور، لسان العرب: مادّة: مثل.

([13]) نفسه،م مادّة: مثل.

([14]) الزَبيديّ، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د.ت.: مادّة: مثل.

الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)) الفتح

ويقول الراغب الأصفهانيّ:" وسمّي الوصف مثلا؛ إذ هو مثال للموصوف، يدلّ عليه كمثال في دلالته على ما هو مثال له" [١٥] .

الآيات التي وردت كلمة (مَثَل) فيها بمعنى الصفة، في كتب التفسير:

قال تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧)) البقرة [١٦] .وقال تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)) الأعراف [١٧] . وقال تعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥) الرعد [١٨] . وقال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٨)) إبراهيم [١٩]

([15]) الأصفهاني، الراغب، تفسير الراغب الأصفهاني ، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدي ، الطبعة: الأولى، دار الوطن – الرياض ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ١٠٦/١

([16])انظر:ا البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغويّ ، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، ٦٨/١

([17]) انظر: الزمخشريّ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الطبعة: الثالثة، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧ هـ ،٢/ ١٧٨

([18]) انظر: اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، الطبعة: الأولى، الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب،١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ١٩/١، ، والزمخشريّ، الكشاف ، ٢/ ٥٣٢. والبغويّ، تفسير البغوي، ٣٢٢/٤ .

([19]) انظر: الزمخشريّ: الكشاف، ٥٤٧/٢ .يقول الزمخشريّ: "المثل مستعار للصفة التي فيها غرابة".

وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤))إبراهيم [٢٠] . وقال تعالى: (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠)النحل [٢١] . وقال تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) النور [٢٢] . وقال تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩)) الزمر [٢٣] وقال تعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)) محمد [٢٤] .وقال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)) الفتح [٢٥] .

([20]) انظر: نفسه، ٥٥٣/٢

([21]) انظر: اليوسي، زهر الأكم، ١٩/١، والزمخشري ،الكشاف، ٢/ ٦١٣ والبغويّ، تفسير البغويّ، ٢٥/٥.

([22]) انظر: الزمخشريّ، الكشاف، ٢٤١/٣.

([23]) انظر: التفسير الكبير٤٥١/٢٦

([24]) انظر: الزمخشريّ، الكشاف، ٤/ ٣٢١ والبغويّ، تفسير البغويّ، ٢٨٢/٧.

([25]) انظر: الزمخشريّ، الكشاف، ٣٤٨/٤، والبغويّ، تفسير البغويّ، ٣٢٤/٧.

وخلافا لما سبق فقد أنكر المبرِّد في المقتضب مجيء المثل على هذا المعنى، وخطّأ من قال به؛ لأنّ المثل عنده مأخوذ من المثال والحذو، والصفة تحلية ونعت، يقول: " إنّما يقال: صفة زيد أنّه ظريف وأنّه عاقل "[٢٦]

ويميل البحث إلى ما ذهب إليه هؤلاء العلماء في أنّ معنى كلمة (مَثَل) في الآيات السابقة هو الصفة، وهو معنى جليّ كما يظهر من الآيات. ولا يوافق ما ذهب إليه من أنكر هذا المعنى؛ لأنّ المنكر في ما يبدو يحاكم المعنى من وجهة نحويّة بقوله إنّ الصفة هي تحلية ونعت.

العبرة، والحجّة، والآية، والحديث: ذهب ابن منظور إلى استعمال المثل بمعنى الآية تارة، وذلك في

قوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩))الزخرف وبمعنى العبرة تارة أخرى وذلك في قوله تعالى: (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ (٥٦)) الزخرف [٢٧].

وذهب الفيروزآبادي إلى ما ذهب إليه الخليل من استعمال الكلمة بمعنى الحجة والحديث نفسه[٢٨]سوق حديث على علاته، فيكون من قبيل الكناية التي تطلق ويراد منها لازمها، باعتبار أنّ هذه الأمور أو بعضها لوازم لبعض الأمثال وبخاصّة في القرآن الكريم". [٢٩]

ويرى محمد حسين الصغير" أنّ العبرة والحجّة والآية والحديث ليست معاني للمثل، وإنّما هي غايات من سوق المثل والتنظير، فالغاية من إرساله قد

([26]) المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب. – بيروت، د. ت.،٣/٢٢٥.

([27])ابن منظور، لسان العرب:مادّة: مثل.وانظر أيضا: البغويّ، تفسير البغويّ ٧/٢١٩

([28]) الفيروزآباديّ، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثامنة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ ،٤/٤٩. وانظر: الخليل، أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،.د.ت، مادّة: مثل.وانظر أيضا: الزبيديّ، تاج العروس: مادّة: مثل.

([29]) الصغير، محمد حسين ، الصورة الفنيّة في المثل القرآني: ٤٧- ٤٨

تكون هي العبرة، أو إقامة الحجّة أو إظهار آية دالّة على شيء ما، أو سوق حديث على علاته، فيكون من قبيل الكناية التي تطلق ويراد منها لازمها، باعتبار أنّ هذه الأمور أو بعضها لوازم لبعض الأمثال وبخاصّة في القرآن الكريم". (٣٠)

المثل: والمثال والحذو والشاخص: ويبدو أنّ المثل بمعنى المثال والحذو والشاخص لا يخلو من أصالة لغويّة، وربما كان هو الأصل لكل هذه المعاني، لإمكان رجوعها إليه.

ورد عن الأصمعي أنّه قال:" مثل بين يديه إذا انتصب، وقد شبّهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره، كما قال ابن السكيت"(٣١). وقد ذهب المبرد إلى هذا المعنى فقال" المثَلُ مأخوذ من المِثال، وهو: قولٌ سائرٌ يُشَبَّه به حالُ الثاني بالأول، والأصل فيه التَّشْبِيه، فقولُهم "مَثَلَ بَيْنَ يَدَيه" إذا انتصب معناه أَشْبَهَ الصورةَ المنتصبة، و "فلان أَمْثَلُ من فلان" أي أَشْبَهُ بما لَه (من) الفضل. والمِثالُ القِصاصُ لتشبيه حالِ المقتَصِّ منه بحال الأول، فحقيقة المَثَلِ ما جُعل كالعلم للتشبيه بحال الأوّل "(٣٢). ونقل ابن رشيق عن قوم قولهم:" إنّما معنى المثل المثال الذي يحذى عليه، كأنه جعله مقياساً لغيره"(٣٣)

وقال ابن سنان الخفاجي:" سمي مثلاً لأنه ماثل يخاطر الإنسان أبداً أي شاخص، فيتأسى به، ويتعظ، ويخشى، ويرجو، والشاخص المنتصب"(٣٤). فاشتاق المثل من التمثال تصويراً لا يخلو من وجه وجيه لأنه يعيد إلى الأذهان

---

(30) نفسه ٤٧- ٤٨

(31) الميداني، أبو الفضل، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، لبنان، د .ت،١/٦.

(32) الميداني، مجمع الأمثال، ١. ولم يجد البحث عند المبرّد إلا قوله:"ا وإنّما المثل مأخوذ من المثال والحذو"، انظر:المبرّد، المقتضب، ٣/٢٢٥

(33) القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة: الخامسة، دار الجيل، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ١/٢٨٠.

(34) الزركشي، البرهان:١/٤٨٧.

معنى الشخوص والانتصاب، فيكون قد جمع إلى معانيه المثال والمثول والتصوير بوقت واحد. وعلى هذا فلعلّ إطلاقه على الصفة أو الحالة إنّما يكون في الموارد التي يكون في أسلوب عرضها مثول وانتصاب لحقيقتها أمام الناظر كما في:(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ)الرعد:٣٥ و محمد:١٥.

ويمكن أن نجمع هذه الدلالات اللغوية كلَّها في المثل القرآني، إذ إنّه قد استُعير لكلِّ شأنٍ مبهمٍ أو حدثٍ غريبٍ أو قصةٍ أريد بها العظة والعبرة، أو لكلِّ وصفٍ لم يعرفه العرب من قبل، أو لكلِّ معنًى لم يُدرك فحواه إلا بتقريبه عن طريق الشبيه والنظير له. فكأنه بمعنى الشبيه والنظير والوصف والنموذج أو المثال.

المثل في الاصطلاح:

قال الخليل:" المَثَل الشيء يضرب للشيء فيجعل مثله، والمثَل الحديث نفسه وأكثر ما جاء في القرآن نحو ذلك"[٣٥]

قال ابن السكيت:" المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شَبَّهُوه بالمثال الذي يُعْمَلُ عليه غيره "[٣٦]

وقال المبرّد: " هو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول"[٣٧]

وقال الزمخشريّ:" ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل، ولم يضربوا مثلاً، ولا رأوه أهلاً للتسيير، ولا جديراً بالتدوال والقبول، إلا فيه غرابة من بعض الوجوه"[٣٨].

وقال الرزايّ: ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل. وشرطه أن يكون قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه"[٣٩]. وناقش الآلوسيّ هذا الأمر فقال:"

([35])الخليل، العين: مادّة مثل.

([36])الميداني، مجمع الأمثال:١.

([37])المصدر نفسه:١/٥. وانظر التعريف في البغويّ؛ تفسير البغويّ١٣ /٣٤٦ وفي اليوسيّ، زهر الأكم ٢٠/١

([38])الزمخشريّ، الكشاف:٧٢/١.

وتفسيره بالقول السائر الممثل مضربه بمورده، يردّ عليه أمثال القرآن، لأنّ الله تعالى ابتدأها وليس لها مورد من قبل، اللهم إلا أن يقال إنّ هذا الإصطلاح جديد، وإنّ الأغلب في المثل ذلك"(٤٠). وقال أبو حيّان الأندلسي: إنّ "المثل، ذكر وصف ظاهر محسوس وغير محسوس، يستدلّ به على وصف مشابه له من بعض الوجوه، فيه نوع من الخفاء ليصير في الذهن مساويا للأول في الظهور من وجه دون وجه "(٤١). وذهب أبو البقاء إلى أنّه نوع من المجاز المرسل لتعريف الحقائق بألفاظ لم توضع لها في الأصل، واستعملت للتعبير عنها في موارد الحاجة(٤٢).وينقل السيوطيّ رأيا لأبي عبيد القاسم بن سلام الذي ذكر أنّ في استعمال العرب للمثل اجتماع ثلاث من خلال هي" إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه"(٤٣). وقال إبراهيم النظام:" يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجار اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة"(٤٤).

قال الخازن:" المثل تشبيه الشيء الخفيّ بالجليّ فيتأكّد الوقوف على ماهيّته، وذلك هو النهاية في الإيضاح"(٤٥). ويقول عبد القاهر :" فينبغي أن تعلم أن

---

(39) الرازي، مفاتيح الغيب: ٢٩٣/١.وانظر هذا التعريف في الدرّ المصون ١٥٦/١

(40) الألوسيّ، روح المعاني: ١٦٣/١.يبدو أنه اعتمد هو وغيره على ما جاء في العين:" ولم تكن هذه الكلمات ونحوها مثلا ضرب لشيء آخر" وذلك عند حديثه عن قواه تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ (٧٣)) الحج وقوله: (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا(٥))الجمعة وقوله:(كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ(١٧٦)) الأعراف.

(41) أبو حيّان الأندلسيّ، تفسير البحر المحيط ، تحقيق:: صدقي محمد جميل، الطبعة: الأولى، ، دار الفكر - بيروت ، ١٤٢٠ هـ ، ١٢٢/١

(42) الكفويّ، أبوالبقاء، الكليّات، قابله على نسخة خطية: عدنان درويش ومحمد المصري، الطبعة: الأولى، ، مؤسسة الرسالة - بيروت،١٩٩٨م،٣٤٣

(43) السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ٣٧٤/١

(44) الميدانيّ، مجمع الأمثال، ٦/١

(45) الخازن، أبو الحسن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق وتصحيح: محمد علي شاهين، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ ، ٣٠/١

المثَل الحقيقيّ، والتشبيه الذي هو الأولَى بأن يسمَّى تمثيلاً لبُعده عن التشبيه الظاهر الصريح، ما تجدُه لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر، حتى إنّ التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليّاً محضاً، كانت الحاجة إلى الجملة أكثر"(٤٦). وعنده" أنّ كل ما لا يصح أن يسمى تمثيلاً فلفظ المثل لا يستعمل فيه"(٤٧).

ولا يجد البحث خلافاً جوهرياً في تحديد معنى (المَثَل) عند هؤلاء، إذ قد تكون المشابهة بين الشيئين من بعض الوجوه، وقد تكون هذه المشابهة كاملةً أو مساوية لنظيرها.

وقد امتازت صيغة المثل القرآني بأنّها لم تنقل عن حادثة معينة، أو واقعة متخيلة، أعيدت مكرورة تمثيلاً، وضرب موردها وإنّما ابتدع المثل القرآني ابتداعا دون حذو احتذاه، وبلا مورد سبقه، فهو تعبير فنّي جديد ابتكره القرآن حتى عاد صبغة متفردة في الأداء والتركيب والإشارة. وعلى هذا فالمثل في القرآن الكريم ليس من قبيل المثل الاصطلاحي"(٤٨). بل هو نوع آخر أسماه القرآن (مثلا) من قبل أن تعرف علوم الأدب (المثل) ومن قبل أن تسمي به نوعاً من الكلام المنثور وتضعه مصطلحاً له. بل من قبل أن يعرف الأدباء(المثل) بتعريفهم"(٤٩).

---

(46) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، د .ت. ، ٩٨

(47) نفسه، ٨٧

(48) الصغير، محمد حسين ، الصورة الفنيّة في المثل القرآني،٧٢ - ٧٣

(49)نفسه، ٧٣

الفصل الثاني

الأنماط التركيبية التي وردت فيها كلمة مَثَل في القرآن الكريم ودلالاتها

يعتمد البحث في دراسة التراكيب النحويّة التي وردت فيها كلمة (مَثَل) على كلمة (مَثَل) نفسها، إذ وردت هذه الكلمة في الآيات القرآنيّة على ثلاثة أشكال رئيسيّة كما يأتي:

١- أن تذكر كلمة (مَثَل) في الآية مرّتين: مع المشبّه ، ومع المشبّه به وبينهما كاف التشبيه.

٢- أن تذكر مرّة واحدة مع المشبّه متبوعة بكاف التشبيه، أو أن تذكر مع المشبّه به مسبوقة بكاف التشبيه.

٣- أن تذكر مرّة واحدة من غير ذكر لكاف التشبيه.

يلحظ من الأشكال السابقة أنّها قسّمت بناء على ورود كلمة (مَثَل) في الآية، ومكان ورودها، أي أنّ لهذه الكلمة موقعا مهمّا في هذا التقسيم، وفي المعنى الذي تؤدّيه، وفي ما يأتي ذكر للآيات القرآنية الكريمة موزّعة على الأشكال السابقة، والأنماط التي سترد عليها:

جاء التمثيل في آيات الشكل الأوّل بتشبيه صفة بصفة أخرى مع عدم وجود مطابقة بين المشبّه والمشبّه به، أي أنّه تشبيه في ما يتراءى من الخارج، فلا يوجد فيه مطابقة بين الخارج والمضمون، فهو تشبيه غير مباشر، على عكس ما نجده مثلا في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤)إبراهيم .

وقام هذا التمثيل على كلمة (مَثَل) مضافة إلى المشبّه وكاف التشبيه، وكلمة (مَثَل) مضافة إلى المشبّه به ثم تفصيل للمشبّه به، واستخدم

القرآن الجملة الاسميّة للتعبير عن هذا التمثيل، ومعلوم أنّ استخدامها في التعبير يراد به تأكيد المعنى، ولا تنافي بين التأكيد وكون التشبيه في ما يتراءى من الخارج، لأنّ المثل القرآني – كما ذكر سابقا – لم يقم على مثال سابق احتذاه، وكلّ هذا ليقرّب لنا ما يريد تصويره،وكأنّه مشاهد أمامنا.

يقول السيوطي في هذا الشأن: إن الأمثال "تصوّر المعاني بصورة الأشخاص، لأنّها أثبت في الأذهان، لاستعانة الذهن فيها بالحواس" (٥٠).

وجاءت الجملة الاسميّة في هذا الشكل على الأنماط الآتية:

١- (مَثَل) مبتدأ + مضاف إليه (ضمير) + خبر ((شبه جملة (كاف التشبيه + (مَثَل) + مضاف إليه)) + توسعة. وجاء ذلك في قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧)) البقرة. وقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) البقرة، وقوله تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)) الأعراف.

٢- (مَثَل) مبتدأ + مضاف إليه (اسم موصول وصلته) + جملة معطوفة على الصلة + خبر (شبه جمله (كاف التشبيه + (مَثَل) + مضاف إليه (اسم موصول وصلته)) + توسعة. وجاء ذلك في قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا

---

(٥٠) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م.، ٢ / ١٣١ .

فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧))البقرة.

٣- (مَثَل) مبتدأ + مضاف إليه (اسم موصول وصلته) + خبر (شبه جملة (كاف التشبيه + (مَثَل) + مضاف إليه)) + توسعة. وجاء ذلك في قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١))

البقرة، وقوله تعالى: (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥))

البقرة، و قوله تعالى: (مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧))آل عمران، و قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)العنكبوت، و قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥))

الجمعة.

٤- حرف توكيد + (مَثَل) (اسمه) + مضاف إليه (علم) + شبه جملة + خبر (شبه جملة ((مَثَل) + مضاف إليه (علم) + حال (جملة فعلية)). وجاء ذلك في قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩)) آل عمران.

ويمكن اختصار الأنماط السابقة بالصورتين الآتيتين:

الصورة الأولى:

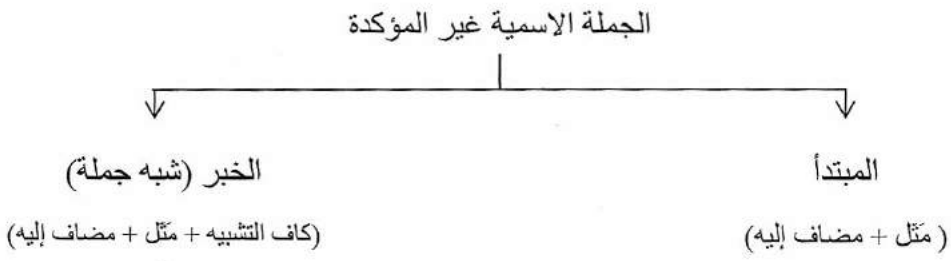

الصورة الثانية:

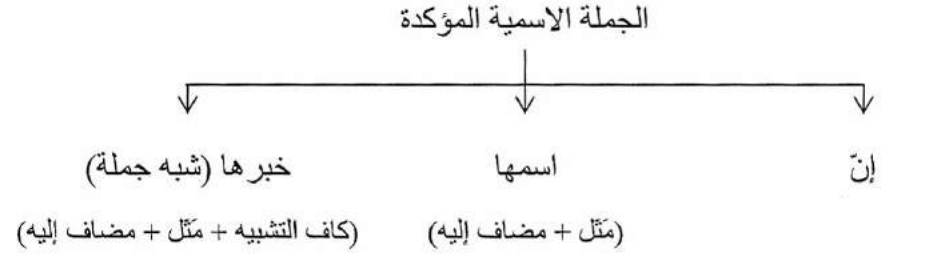

التحليل:

قال تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّـهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧))البقرة.

مثلهم: متبدأ، و(كمثل) جارّ ومجرور خبره (متعلّق بمحذوف على قاعدة الباب) ولا يميل البحث إلى ماذهب إليه ابن عطية[٥١] في أنّ الكاف اسم، وهي الخبر، لأنّ موضع الكاف هنا يشبه موضع أيّ حرف جرّ وقع في شبه جملة في باب الخبر، ويذكر السمين الحلبيّ أنّ الكاف يمكن أن تكون اسما إذا كان موقعها

(٥١) ابن عطية الأندلسيّ، أبو محمد، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢ هـ.، ١ / ١٧٨.

يستدعي إعرابها إعراب الأسماء [٥٢] كأن تكون فاعلا، عندما لا يوجد غيرها يمكن إعرابه هذا الإعراب.

أما مذهب سيبويه فلا تكون الكاف اسما إلا في شعر[٥٣] وهذا أيضا فيه نظر، لأنّ الأولى – في نظر البحث – هو ما ذكره السمين سابقا، وأمّا أن تكون الكاف زائدة فلا يستقيم ذلك في هذه المواقع؛ لأنّ التشبيه في ما يتراءى من الخارج، فالمطابقة غير موجودة، والصفة التي هي معنى كلمة (مثل) ليست عين الأخرى.

وقد اختلف المفسرون في هذا التمثيل في كلمة (الذي) المشبّه به، إذ إنّ المشبّه جمع (الذين) والمشبّه به مفرد، إلا أنّهم ذكروا أنّ المراد بالذي هنا جمع، ولذلك روعي معناه في قوله (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ) فأعاد الضمير عليه جمعا والأولى أن يقال: إنّ (الذي) وقع وصفا لشيء يُفهم، ثمّ حذف ذلك الموصوف للدلالة عليه، والتقدير: مثلهم كمثل الفريق الذي استوقد نارا، أو الجمع الذي استوقد نارا، فيكون قد روعي الوصف مرّة، فعاد الضمير عليه مفردا في قوله (استوقد) و (حوله) والموصوف أخرى، فعاد عليه الضمير مجموعا في قوله (بنورهم) و(تركهم) [٥٤].

والذي يراه البحث أنّ التشبيه كان بين صفة وصفة فلا حاجة لأن تكون هناك مطابقة بين المشبّه والمشبّه به، من حيث العدد؛ لأنّ المقصود تشبيه حال المنافقين أو صفتهم على خستّها وضعتها، بحال الذي استوقد، أيّا كان، ليس أحدا بعينه، ومن هنا فلا حاجة للمطابقة العدديّة، ولا حاجة أن يقدّر محذوف.

---

(٥٢) انظر: الحلبيّ السمين، الدّر المصون ١ / ١٥٥ .

(٥٣) انظر: سيبويه، الكتاب ،تحقيق وشرح : عبد السلام هارون الطبعة: الأولى، دار الجيل- بيروت، د.ت.، ١ / ٢٠٣ .

(٥٤) الحلبيّ، السمين، الدرّ المصون ١ / ١٥٦ .

وقد يكون الأمر من باب التقليل من شأن المنافقين، فكلّ ما يقومون به يشبه ما يقوم به الذي استوقد (أي الواحد المستوقد) أو جنسه، إضافة إلى ما في صيغة (استوقد) من معنى الطلب، فالذي يقوم بهذه العمليّة (الاستيقاد) يكون واحدا، وهو الذي يطلب إيقاد النار، أي أنّه لا يملك أصلا ما يوقد به (لا يملك مقوّمات ما يريد القيام به) لذلك استوقد النار، فالذي يعلم مثلا ليس كالذي يستعلم، فالأوّل عنده علم، والآخر ينقصه العلم؛ لذلك يطلبه.

فالذي يتحصّل في نفس الناظر في أمرهم، كمثّل الذي يتحصّل في نفس الناظر في أمر المستوقد(٥٥).

وحتى في قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩)) آل عمران، فإنّ الظاهر من التشبيه أنّه مباشر (مطابقة في المضمون) إلا أنّه ليس كذلك، وتفسيره: أنّ صفة عيسى – عليه السلام – عند الله في غرابة خلقه، تشبه صفة آدم – عليه السلام – وهي أنّهما مخلوقان من تراب، لكنّهما مختلفان في كيفيّة الخلق فآدم – عليه السلام – خلق من غير أب ولا أم، فغرابة خلق عيسى أقلّ من غرابة خلق آدم – عليهما السلام – من حيث أنّهم لم يعهدوا مثله (٥٦)، ولكنّهم يعلمون قصّة آدم عليه السلام الغريبة، ومن هنا جاء التشبيه مؤكّدا بإنّ ردّا على منكري صفة عيسى عليه السلام.

أمّا قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١))البقرة، فيذكر النحاة والمفسرون(٥٧) أنّ التشبيه في الآية لا يصحّ من غير تقدير محذوف في المشبّه أو المشبّه به، ويرى البحث أنّه لا تقدير

(٥٥) ابن عطيّة، تفسير ابن عطيّة ١ / ٩٩ .

(٥٦) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.د.ت.، ٤ / ٤٢٥ .

(٥٧) انظر:الزمخشريّ، الكشاف ٣٢٨/١ وما بعدها، وأبا حيّان، البحر المحيط ٤٨١/١ وما بعدها، و الحالبيّ، السمين ، الدرّ المصون، ٢٢٩/٢ وما بعدها، و٥٧٨/٢ وما بعدها.

لمحذوف في هذه الآية، أو في غيرها من الآيات في هذا الشكل، لأنّه – كما ذكر سابقا – لم يأت التشبيه مباشرا، وإنّما كان بين طرفين لا مطابقة بينهما، فالأمر قائم على تشبيه صفة شيء بصفة شيء آخر.

يقوم تركيب الجمل في هذا النمط على المبتدأ (مَثَل) والخبر (كمَثَل) ولعلّ في استخدام الجملة الاسميّة في هذا الشكل تأكيدا للمعاني الموجودة في هذه الآيات، عدا أنّ كلمة (مَثَل) نفسها جاءت مبتدأ في جميع الآيات. أي أنّها المسند إليه، سواء بإضافتها إلى الاسم الموصول كما في (مثل الذين كفروا، ومثل الذين ينفقون، ومثل ما ينفقون، ومثل الذين اتخذوا) أو بإضافتها إلى الضمير كما في (مثلهم، ومثله) أو بإضافتها إلى العلم.

وتبيّن للبحث أنّ بإضافة (مثل) إلى الاسم الموصول احتاجت الآية في المشبّه به إلى جمل موسّعة، لتوضيح المعنى وتصويره بدقة، بينما عندما أضيفت إلى العلم لم يأت ذلك التفصيل.

الشكل الثاني: أن تذكر كلمة (مَثَل) مرّة واحدة: مع المشبّه متبوعة بكاف التشبيه أو مع المشبّه به مسبوقة بالكاف.

وجاءت كلمة (مَثَل) في آيات هذا الشكل على معنى الصفة أو الحالة أو الشأن عندما أضيفت إلى ما بعدها، أو وصفت. وجاءت على معنى (المَثَل) عندما ذكرت نكرة من غير إضافة، وبحسب الموضع الإعرابي الذي جاءت عليه كلمة (مثل)، فقد تمّ تقسيم الآيات في جملتين: الجملة الاسميّة ، والجملة الفعليّة .

الجملة الاسميّة : وردت الجملة الاسميّة في أنماط عدة، بناء على ورود كلمة (مَثَل) مبتدأ أو خبرا أو بعض خبر، وهي:

١- أداة حصر + (مَثَل) مبتدأ + مضاف إليه + نعت + خبر شبه جملة (كاف التشبيه + المشبّه به) + نعت جملة فعليّة. وجاء ذلك في قوله تعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ

قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤))يونس.

٢- (مَثَل) مبتدأ + مضاف إليه + خبر شبه جملة (كاف التشبيه + المشبّه به) وجاء ذلك في قوله تعالى: (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤))هود، وقوله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)النور.

٣- (مَثَل) مبتدأ + مضاف إليه (اسم موصول وصلته) + خبر جملة اسمية خبرها شبه جملة (كاف التشبيه + المشبّه به) + نعت جملة فعليّة + حال (للمضاف إليه) جملة فعليّة. وجاء ذلك في قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٨)) إبراهيم

٤- مَثَل (مبتدأ) + مضاف إليه + نعت + خبر شبه جملة (كاف التشبيه + المشبّه) + نعت + نعت جملة فعليّة + نعت جملة اسميّة. وجاء ذلك في قوله تعالى:(وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦))إبراهيم.

٥- (مَثَل) مبتدأ + مضاف إليه + نعت (اسم موصول وصلته) + توسعة + خبر شبه جملة (كاف التشبيه + المشبّه به). وجاء ذلك في قوله تعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥))محمد

٦- (مَثَل) مبتدأ + مضاف إليه + شبه جملة + خبر شبه جملة + لغت جملة فعليّة. وجاء ذلك في قوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩))الفتح

٧- حرف استفهام + مبتدأ (اسم موصول وصلته) + توسعة + خبر شبه جملة (كاف التشبيه + المشبّه به (اسم موصول + صلته ((مَثَل) مبتدأ + خبر شبه جملة)). وجاء ذلك في قوله تعالى:(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢))الأنعام ١٢٢.

٨- مبتدأ + (مَثَل) خبر + شبه جملة. وجاء ذلك في قوله تعالى: قوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩))الفتح

٩- أداة حصر + مبتدأ + نعت + خبر أوّل + توسعة + خبر ثان شبه جملة (كاف التشبيه + (مَثَل)) + مضاف إليه + نعت جملة فعليّة. وجاء ذلك في قوله تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠))الحديد

١٠- مبتدأ محذوف + خبر (كاف التشبيه + (مَثَل)) + مضاف إليه. وجاء ذلك في قوله تعالى:(كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦)) الحشر.

الجملة الفعليّة :جاءت الجملة الفعليّة على نمطين، وردت فيهما كلمة (مثل) مفعولا به، كما يأتي:

١- فعل + فاعل + (مثلا) مفعول به + بدل + نعت + شبه جملة (كاف التشبيه + المشبّه به) + توسعة. وجاء ذلك في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤))إبراهيم.

٢- فعل + فاعل + شبه جملة + (مثل) مفعول به + مضاف إليه + نعت + شبه جملة (كاف التشبيه + المشبّه به) + نعت جملة فعليّة. وجاء ذلك في قوله تعالى:(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (٤٥))الكهف.

ويمكن إيجاز الأنماط السابقة بما يأتي:

الجملة الاسميّة غير المؤكّدة جاءت في الصورتين الآتيتين:

الأولى:

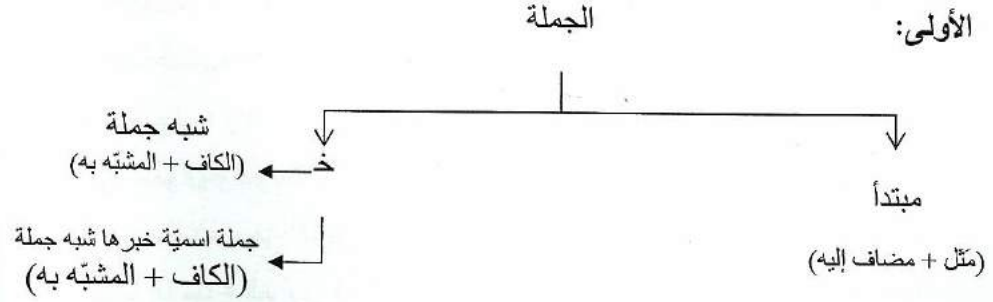

ولم تخل هذه الجملة من عناصر التوسعة كالنعت والعطف.

الثانية:

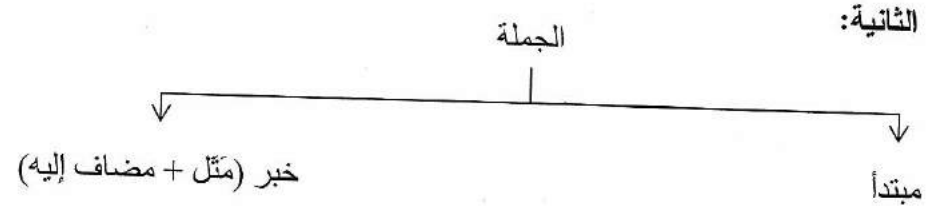

الجملة الاسميّة المؤكّدة جاءت في الصورة الآتية:

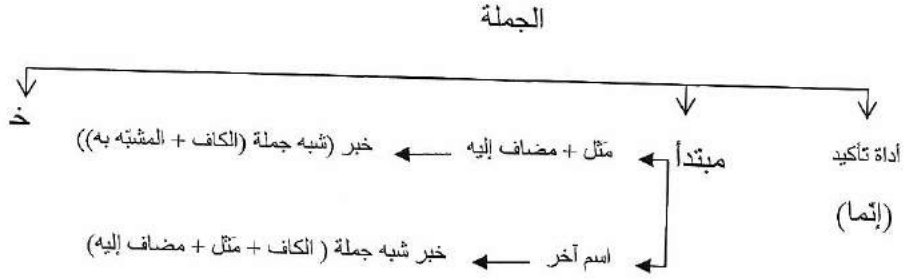

ولم تخل هذه الجملة من عناصر التوسعة كالنعت.

أمّا الجملة الفعليّة فجاءت على الصورة الآتية:

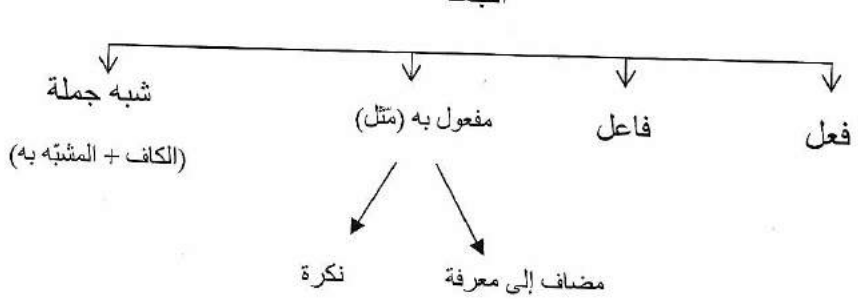

لعلّ الناظر في الصور السابقة للجملة الاسميّة يدرك الأهميّة التي أعطتها كلمة (مَثَل) للتركيب ففي قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٨)) إبراهيم ، جاءت كلمة (مَثَل) مبتدأ سواء أكان خبره محذوفا على مذهب سيبويه[٥٨]، أم مذكورا كما ذهب إليه الزمخشريّ[٥٩]، وما ذهب إليه ابن عطيّة ورجّحه أبو حيّان[٦٠]، ولم يستطع البحث تفسير الرأي الذي ذهب إليه الكسائيّ والفراء[٦١] في إلغائهما كلمة (مثل)؛ ليكون المعنى: الذين كفروا أعمالهم كرماد، إذ لم يرد عن العرب أن تكون كلمة (مَثَل) زائدة، عدا أنّها جاءت مسندا إليه في الجملة.

وما يميل البحث إليه – ما أثبته سابقا في الأنماط – أن كلمة (مَثَل) مبتدأ وخبره جملة اسميّة هي أعمالهم كرماد، والرابط لهذه الجملة بالمبتدأ هو الضمير (هم) في (أعمالهم) العائد إلى الاسم الموصول الواقع مضافا إليه بعد المبتدأ، ولا يرى أن تكون كلمة أعمالهم بدلا من المبتدأ؛ إذ كيف يمكن أن تكون كلمة (مَثَل) بدلا وفيها الضمير (هم)، ولا تصلح أن تكون مبتدأ ثانيا فيها ضمير يعود إلى الاسم الموصول، فكأنّ الجملة كانت على التقدير الآتي (مثل أعمال الذين كفروا كرماد) ثمّ صارت (مثل الذين كفروا أعمالهم كرماد).

---

(٥٨) انظر: سيبويه، الكتاب ١ / ١٤٣ . وتبعه في هذا الرأي غير نحويّ، الأخفش، أبو الحسن، معاني القرآن، الطبعة الأولى مكتبة الخانجي، القاهرة، ، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م، ٤٠٦/٢.

(٥٩) انظر: الزمخشريّ، الكشاف، ٥٤٧/٢

(٦٠) انظر: ابن عطيّة: تفسير ابن عطيّة، ٣٣١/٣. وأبا حيّان، البحر المحيط ٤٢٢/٦ وانظر أيضا: الآراء التي ذكرها السمين الحلبيّ في الدرّ المصون في هذه المسألة، ٨١/٧ – ٨٤ .

(٦١) انظر ذلك في : النّحّاس ، أبو جعفر، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة: الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ، ٢٣٠/٢ و ابن عطيّة: تفسير ابن عطيّة، ٣٣١/٣.

وحاصل الأمر أنّ صفة (الذين كفروا) و(أعمالهم) وإن كانت من المكارم، إلاّ أنّها لا قيمة لها، فهي كرماد اشتدّت به ريح في يوم عاصف، ونعت كلمة(يوم) بـ (عاصف) فيه دلالة على أنّ الزمن هو الكفيل بكشف أمرهم، وسيكون ذلك سريعا كسرعة انقضاء اليوم في حساب الزمن، على الرّغم من أنّهم كسبوا أعمالهم بأيديهم، ولكن لأنّها لا تقوم على أساس صحيح لم يقدروا أن يبقوا على أيّ شيء منها، بعد ما عصف بهم، ثم وصف القرآن ما قاموا به بالضلال البعيد المشار إليه بذلك (التي تعطي معنى البعد)، فما يقومون به بعيد عمّا هو في صالح الأعمال.

الشكل الثالث: أن تذكر كلمة (مَثَل) مرّة واحدة من غير كاف التشبيه، وهذا الشكل هو الأكثر ورودا في الآيات، سواء أكانت هذه الكلمة معرفة أم نكرة، مع أنّ ذكر النكرة كان هو الأكثر.

جاءت كلمة (مثل) في آيات هذا الشكل على معنى (المَثَل). وبحسب الموضع الإعرابيّ الذي جاءت عليه، فقد قسّمت الآيات على نوعي الجملة: الفعليّة والاسميّة .

أوّلا: الجملة الفعليّة : وقد جاءت أنماطها على ما يأتي – حسب الموقع الإعرابي لكلمة (مَثَل) من الإعراب:

١– كلمة (مثل) فاعل وجاء النمط على الفروع الآتية:

أ– حرف جزم + فعل + مفعول به + (مثل) فاعل + مضاف إليه. وجاء ذلك في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤))البقرة.

ب– فعل + فاعل + مضاف إليه. وجاء ذلك في قوله تعالى:(فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨))الزخرف.

ج- فعل + فاعل + مضاف إليه + نعت (اسم موصول وصلته). وجاء ذلك في قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥))الجمعة.

٢- كلمة (مثل) نائب فاعل وجاءت على الفرع الآتي:

أ- فعل + نائب فاعل. وجاء ذلك في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣))الحج.

٣- كلمة (مثل) مفعول به أو اسم معطوف على مفعول به وجاءت على الفروع الآتية:

أ- حرف نصب + فعل + فاعل ضمير مستتر + مفعول به + نعت + بدل. وجاء ذلك في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦))البقرة

ب- فعل + فاعل + مفعول به + بدل + نعت مفرد + نعت جملة. وجاء ذلك في قوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥)) النحل.

جـ- فعل + فاعل + مفعول + بدل + نعت جملة. وجاء ذلك في قوله تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦))النحل. و قوله تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)) النحل.

د- فعل + فاعل + شبه جملة + مفعول به + بدل + نعت جملة. وجاء ذلك في قوله تعالى:(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢)) الكهف.

هـ- حرف توكيد + فعل + فاعل + شبه جملة + مفعول به + نعت + اسم معطوف + نعت شبه جملة. وجاء ذلك

في قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٣٤))النور.

و- فعل + فاعل + شبه جملة + مفعول به + نعت شبه جملة. وجاء ذلك في قوله تعالى:(ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨)) الروم.

ز- فعل + فاعل + شبه جملة + مفعول به + بدل + ظرف زمان. وجاء ذلك في قوله تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣))يس.

ح- فعل + فاعل + شبه جملة + مفعول به. وجاء ذلك في قوله تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨))يس.

ط- فعل + فاعل + مفعول به + نعت جملة. وجاء ذلك في قوله تعالى:(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩))الزمر.

ي- (فعل + فاعل + شبه جملة + مفعول به) صلة موصول. وجاء ذلك في قوله تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧))الزخرف.

ك- فعل + فاعل + مفعول به أو بدل + مفعول به ثان + اسم معطوف + شبه جملة. وجاء ذلك في قوله تعالى: (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلا لِلْآخِرِينَ (٥٦)) الزخرف.

ل- فعل + فاعل + مفعول به أو بدل + مفعول به ثان. وجاء ذلك في قوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩))الزخرف.

م- فعل + فاعل + مفعول به + شبه جملة + بدل. (آية ٢٦) . وجاء ذلك في قوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١))التحريم.

ن- فعل مبني للمجهول + نائب فاعل + مضاف إليه + مفعول به ثان. وجاء ذلك في قوله تعالى: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧))الزخرف.

٤- كلمة (مَثَل) تمييز وجاءت على الفروع الآتية:

أ- فعل جامد + فاعل (ضمير مستتر) + تميز (مثلا) + المخصوص بالذّم (مبتدأ). وجاء ذلك في قوله تعالى: (سَاءَ مَثَلا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧))الأعراف.

ب- حرف استفهام + فعل + فاعل + تميز (مثلا). وجاء ذلك في قوله تعالى:(مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٤))هود.

جـ- مفعول به مقدّم + فعل + فاعل + شبه جملة + تميز (مثلا) [٦٢]. وجاء ذلك في قوله تعالى:(وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً

(62) لا تكون هذه الكلمة حالا؛ لأنها جامدة، وصاحبها غير واضح وعاملها غير واضح، فالفعل أراد ليس عاملا فيها على معنى الحال والصاحب لن يكون لفظ الجلالة، لا المفعول به المقدّم، كما أنّ المعنى لا يستقيم مع كونها حالا.

لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١))المدثر.

٥- كلمة (مثل) مضاف إليه، وجاءت على الفرع الآتي:

أ- حرف توكيد + فعل + فاعل + شبه جملة + شبه جملة + مفعول به + مضاف إليه. وجاء ذلك في قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩)) الإسراء. وقوله تعالى:(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤))الكهف. وقوله تعالى: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨))الروم. وقوله تعالى:(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧)) الزمر.

ويمكن إيجاز الأنماط السابقة بالصورتين الآتيتين:

الصوة الأولى:

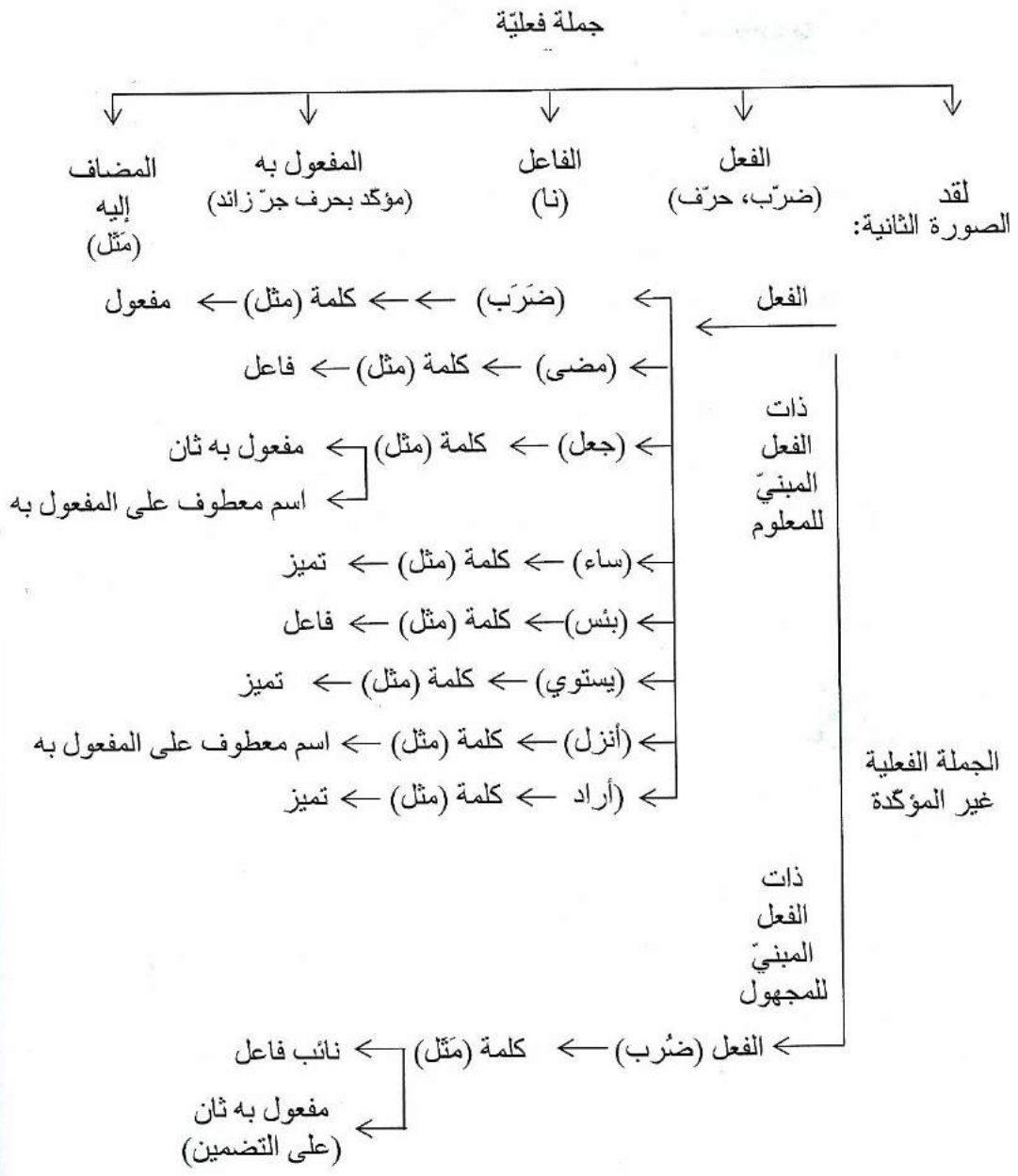

الآيات التي وردت فيها كلمة (مثل) مفعولا به هي الأكثر ورودا في الآيات موضع الدراسة.

وجاء المفعول به فيها للفعل (ضرب) غالبا مسندا إلى لفظ الجلالة أو الضمير المستتر (هو) العائد إلى لفظ الجلالة وجاء مع الفعل (ضرب) مسندا إلى الإنسان في آيتين في موقفين سلبيين. وكان المفعول به الذي فاعله لفظ الجلالة أو ما عاد إليه في هذه الآيات نكرة مفسّرة بما بعدها؛ تشويقا للقارئ أو السامع أو تنبيها إلى ما سيقال بعدها، لأنّ الأمثال في القرآن – كما هو معلوم وكما هو مذكور في كتب التفسير وكتب الأمثال – أهدافها كثيرة من ترغيب وتنفير وترهيب، وتوضيح مناهج الدعوة إلى الخير وحضّ على البرّ والإنفاق ووعظ وعبرة وإقناع وزجر، فعندما نذكر كلمة (مثل) نكرة تحتاج إلى توضيح وتفسير تقوم الكلمات التالية لهذه الكلمة بهذه المهمة. ولا يغفل أيضا أن صيغة الفعل (ضرب) الماضويّة تشير إلى أنّ الأمثال المضروبة هي في عداد الشيء المؤكّد أو الحاصل، وإن لم تحصل أو تقع، تناسب مع منهج القرآن في هذا الأمر، فإذا أراد القرآن أن يذكر شيئا مؤكّدا، ذكره في صيغة الماضي، ولا أدلّ على ذلك من وصف القرآن لأحداث يوم القيامة.

وبما أنّ كلمة (مثل) وقعت مفعولا به للفعل (ضرب) فهي إذن الشيء المضروب، وهذا يعني أن كلمة (مثل) الواردة في هذه المواقع لم تأتِ ولن تأتي إلاّ على أنّها أمثال سائرة بعد أن استخدمها القرآن هذا الاستخدام. وهذا يعني أيضا بُعد هذه الكلمة عن معنى الشبه الذي أكّده البحث سابقا خلافا لما يذهب إليه بعض المفسرين[٦٣] اعتمادا على قوله تعالى:(فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤))النحل. أي لا تجعلوا له مماثلا من خلقه، ولم ينتبه هؤلاء

(٦٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ، ١ / ٣٦١.

إلى أن كلمة الأمثال هي جمع لكلمة (مِثل) التي تعني الشبه، وواضح في الآية أنّ الأمثال هي جمع لكلمة (مِثْل) وليست جمعا لكلمة (مَثَل).

أمّا الآيات الأخرى التي جاءت فيها كلمة (مثل) مفعولا به أيضا فورد فيها الفعل بصيغتين أخريين للفعل (ضرب):

الأولى: وهي واحدة فقط للفعل المضارع يضرب المسند إلى الضمير المستتر العائد إلى لفظ الجلالة المؤكّد بإنّ في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)) البقرة. وهذا يعني أن ضرب الأمثال من الله مستمرّ في خلقه حَقُر هذا الخلق أم عَظُمَ، ويدلّ على هذا التركيبان (يستحيي) الواقع خبر لإنّ و(أن يضرب) المصروف إلى الاستقبال.

أما **الثانية:** فهي صيغة (اضرب) المسندة إلى الضمير المستتر أنت العائد على الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحتى هذه الصيغة فهي من الله سبحانه وتعالى فإسناد ضرب المثل إلى الله؛ لأنّه هو الذي أنشأه ونظمه ثمّ أوحاه إلى رسوله الكريم – عليه الصلاة والسلام –، وأمره بتبليغه، فكأنه قال له:"ضرب الله مثلا فاضربه للناس وبيّنه لهم"(٦٤).

وقد وقعت كلمة (مثل) مضافا إليه في أربع آيات تضمنت أربع جمل فعليّة مؤكّدة، كان المضاف فيه مفعولا به مؤكّدا بحرف الجرّ الزائد (من) وذلك في الآيات من السور: (الإسراء: ٨٩ و الكهف: ٥٤ والروم: ٥٨ والزمر: ٢٧)مرتين مع الفعل (ضرب) المسند إلى الضمير (نا) العائد إلى لفظ الجلالة، وأخريين مع الفعل (صرّف) المسند إلى (نا) العائد إلى لفظ الجلالة أيضا.

وجاءت الجملة الفعليّة فيها على الترتيب الآتي:

---

(٦٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣ / ٤٠٠.

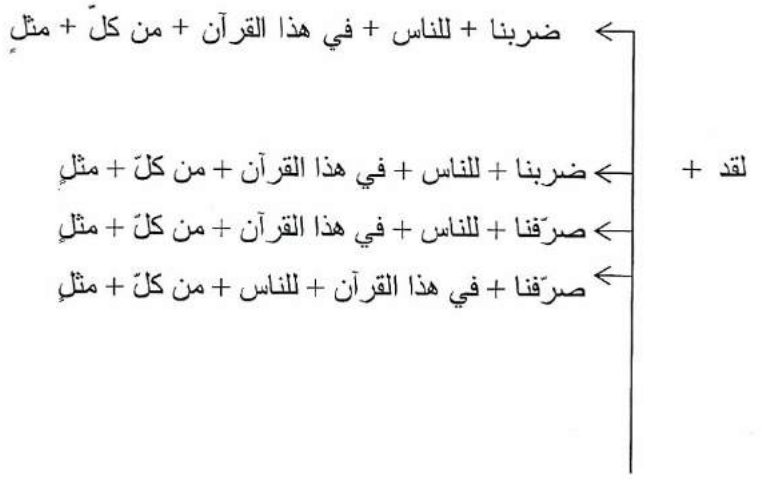

فاتفق التركيب في ثلاث جمل واختلف في الرابعة فقد قدّم (للناس) على (في هذا القرآن) في الثلاث الأولى وقدّم (في هذا القرآن) على (للناس) في الرابعة.

جاء تقديم (في هذا القرآن) على (للناس) موافقا للأهمية والمكانة، فأهمية القرآن ومكانته أعلى من أهمية الناس

(عامتهم) ومكانتهم، لأنّ "الكلام جار في التنويه بشأن القرآن، وأنه ينزل بالحق لا بهوى الأنفس"[٦٥]، ويميل البحث إلى ما ذكره ابن عاشور في أنّ تقديم (للناس) على (في هذا القرآن) أهمّ لأنّ الكلام مسوق لإقامة الحجّة عليهم وتحدّيهم[٦٦].

ووقعت كلمة مثل أيضا في هذه الصورة تمييزا في ثلاث جمل: مع الفعل (ساء)[٦٧] مفسّر للفاعل ومع الفعل (يستويان) مفسّرا للفاعل أيضا ومع الفعل (أراد) مفسّرا للمجرور (بهذا) ففي قوله تعالى:(مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا) (المدثر ٣١) استفهام إنكاريّ أراد الكافرون منه تحقير ما يضرب الله من أمثال باستخدام كلمة

(٦٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٥ / ٣٤٧.

(٦٦) نفسه ١٥ / ٢٠٤.

(٦٧) للنحاة في هذا الفعل والتميز (مثلا) أراد ذكرها أبو حيان انظرها في البحرالمحيط ٥ / ٢٢٦.

(بهذا) المفيدة لهذا المعنى هنا حسب السياق، فجاءت كلمة (مثل) تفسيرا (تمييزا) من كلمة (هذا) لإزالة إبهامه.

وكلّ هذا محاولة من الكفّار في أن يشكّكوا في القرآن الكريم، وكيف أن الله يضرب الأمثال بالحيوانات كالعنكبوت والحمار والكلب التي اختار منها الله الجانب السلبيّ؛ ليصوّر ديمومة بشاعة الكافرين عن طريق توبيخهم وبيان طول ألسنتهم وتلاعبهم بالكلمات[٦٨]، فجاءت وظيفة التمييز كلمة (مثل) كاشفة لهم ولأفعالهم، كما يكشف التمييز ويوضح ما قبله.

ثانيا: الجملة الاسميّة : وجاء ت الصورة في الجملة الاسميّة التي تقدّم فيها الخبر على المبتدأ كلمة (مثل) في الآيتين: "وله المثل الأعلى" وَ "للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم"، وجاءت على الفروع الآتية:

١- شبه جملة (جار واسم موصول وصلته (خبر مقدم)) + شبه جملة + مبتدأ (مثل) + مضاف إليه. وجاء ذلك في قوله تعالى: (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠)) النحل.

٢- شبه جملة (خبر مقدم) + مبتدأ (مثل) + نعت. وجاء ذلك في قوله تعالى: (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠)) النحل. وقوله تعالى(وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧))الروم.

والمتتبع للآيات التي ذكرت فيها جملة "ولله المثل الأعلى" يجد مثلا أن الآيات العشر السابقة لهذه

الآية ذكر فيها لفظ الجلالة (الله) ثماني مرّات، وكلمة (ربّهم) مرتين، فجاءت هذه الآية (ولله المثل الأعلى) منسجمة مع قبلها من آيات. أمّا في قوله

(٦٨)انظر: ياسوف، أحمد، جماليّات المفردة القرآنيّة في كتب الإعجاز والتفسير، الطبعة: الأولى، دار المكتبيّ- دمشق، ١٩٩٤م.١٣٢ – ١٣٣.

تعالى:"وله المثل الأعلى" فنجد في الآيات السابقة لها أنّها تتحدث عن معجزات الله سبحانه وتعالى بذكر ضمير الغائب العائد إلى لفظ الجلالة، فجاءت هذه الآية أيضا منسجمة مع ما قبلها من آيات.

وكلمة (مثل) في هاتين الآيتين تعني الصفة العليا لله سبحانه وتعالى، وقدّم الخبر فيهما مع أنّ المبتدأ فيهما معرفة؛ لأنّ المقصود أنّ الصفات العليا خاصّة بالله لا بأحد غيره سبحانه.

كما جاء هذا المعنى أيضا في قوله تعالى:"للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء" فصفات السوء خاصة بالذين لا يؤمنون بالآخرة لا بأحد غيرهم، لذلك قدّم الخبر (شبه الجملة) على المبتدأ المعرفة (مثل السوء).

الخاتمة والنتائج

درس هذا البحث كلمة (مَثَل) من حيث الاستخدام اللغويّ، في مواضع محدّدة في القرآن الكريم، وذكر المعاني والدلالات التي جاءت عليها هذه الكلمة في الآيات التي وردت فيها، والدور الذي لعبته هذه الكلمة في التركيب. وقد خلص البحث إلى بعض النتائج لعلّ من أهمها: أنّ التعبير القرآنيّ إذا أراد تشبيه صفة بصفة جاء بكلمة (مَثَل) مبتدأ مضافا إلى المشبّه، ثمّ جاء بكاف التشبيه، ثمّ كلمة (مَثَل) مضافة إلى المشبّه به؛ ليكونا(شبه الجملة) خبرا للمبتدأ. أمّا إذا كان التشبيه بين الصفة والمشبّه به يخلو من معنى الصفة، جاء التعبير القرآنيّ بكلمة (مَثَل) مبتدأ – في الغالب – مضافا إلى المشبّه، ولم يجئ بها مضافة إلى المشبّه به، إنّما يكتفى بذكر الكاف. وإذا كان التشبيه بين شيء وصفة شيء آخر، جاء التعبير بكلمة (مَثَل) مسبوقة بالكاف، مضافة إلى المشبّه به. وهذا يعني أن معنى كلمة (مَثَل) يكاد يكون لصيقا بالصفة. وأمّا إذا خلا التعبير القرآنيّ من التشبيه جيء بكلمة (مَثَل) نكرة من غير الكاف، على أنّها مفعول به للفعل (ضرب) – غالبا– وتصريفاته، أو تمييزا، ويكون معناها عندئذ معنى المثل نفسه، فهي المضروبة على أنّها المثل.

وخلص البحث أيضا إلى أنّه إذا كانت كلمة (مَثَل) مضافة إلى مابعدها أو موصوفة جاء معناها الصفة. كما أنّ هذه الكلمة تخلو من معنى التشبيه تماما، كما ذكر في التمهيد.

المراجع:

١. الأخفش، أبو الحسن، معاني القرآن، الطبعة الأولى مكتبة الخانجي، القاهرة، ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

٢. الأصفهاني، الراغب، تفسير الراغب الأصفهاني ، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي ، الطبعة: الأولى، دار الوطن – الرياض ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٣. الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة: الأولى، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، - ١٤١٢ هـ

٤. الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ

٥. البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود، أبو محمد الحسين بن مسعود، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٦. البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.د.ت.

٧. الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، د .ت.

٨. الحلبيّ، السمين، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق. د.ت.

٩. الأندلسيّ، أبو حيّان، تفسير البحر المحيط ، تحقيق:: صدقي محمد جميل، الطبعة: الأولى، ، دار الفكر - بيروت ، ١٤٢٠ هـ

١٠. الخازن، أبو الحسن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق وتصحيح: محمد علي شاهين، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ

١١. الخليل، أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

١٢. الرازي، زين الدين أبو عبد الله، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة: الخامسة، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

١٣. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الطبعة: الثالثة، دار إحياء التراث العربي - بيروت١٤٢٠ هـ.

١٤. الزَبيديّ، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د.ت.

١٥. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

١٦. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الطبعة: الثالثة، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٧ هـ

١٧. سيبويه، الكتاب ،تحقيق وشرح : عبد السلام هارون الطبعة: الأولى، دار الجيل- بيروت، د.ت.

١٨. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م.

١٩. السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م

٢٠. الصغير، محمد حسين، الصورة الفنيّة في المثل القرآنيّ، الطبعة: الأولى، دار الهدي - بيروت، ١٩٩٢م.

٢١. ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ

٢٢. ابن عطية الأندلسيّ، أبو محمد، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٢ هـ.

٢٣. الفارابي، أبو نصر، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الرابعة، دار العلم للملايين - بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

٢٤. الفياض، محمّد جابر، الأمثال في القرآن الكريم، الطبعة: الثانية، الدار العلميّة للكتاب الإسلاميّ - الرياض، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٢٥. الفيروزآباديّ، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثامنة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٢٦. القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة: الخامسة، دار الجيل، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

٢٧. الكفويّ، أبوالبقاء، الكليّات، قابله على نسخة خطية: عدنان درويش ومحمد المصري، الطبعة: الأولى، ، مؤسسة الرسالة - بيروت،١٩٩٨م.

٢٨. المبرّد، أبو العباّس، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب. - بيروت، د. ت.

٢٩. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت. د.ت.

٣٠. الميداني، أبو الفضل، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان، د .ت.

٣١. النَّحَّاس ، أبو جعفر، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة: الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ

٣٢. ياسوف، أحمد، جماليّات المفردة القرآنيّة في كتب الإعجاز والتفسير، الطبعة: الأولى، دار المكتبيّ- دمشق، ١٩٩٤م.

٣٣. اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، الطبعة: الأولى، الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب،١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.